السمّاح عبد الله

قبو الثلاثين

الأعمال الشعرية - ١٣

السمّاح عبد الله

قبو الثلاثين

شعر

السمّاح عبد الله

إِشَارَةْ

* صـدرت الطبعـة الأولى مـن هـذا الـديوان عـن دار التلاقي للكتاب في يوليو ٢٠١٠

إِهْدَاءَةْ

للسيدة الصغرى التي خبأوها في تجاويف الشجرات القديمة، وظلت قابضة على ماء البحر عشرين عاما، خبيئة سرية معطرة، بالوجد والحنين لِتُحَنِّي به جسد عشيقها الجاف، فتندى يده إذا ما لامسها، وينبت في أطرافها الورق الخضر.

للصادية صاحبة الصاد، وللفرحانة ربيبة الفاء، وهي تخطو على طرقة الحنين وتدق بوابات البهجة.

اَلْعَتَبَةْ

مرت الثلاثون الأولى، وربما ستمر الثلاثون الثانية، دون أن ينتبه هؤلاء المارون بجوار الجدارات، والعابرون على طلل الوقت، أنني رأيت النهر وقد خبرتهم ولم ينتبهوا.

اللهم قد بلغت

اللهم فاشهد.

بَدْءُ الْقَوْل

إنما العاجز
من لا يستبد .

عمر بن أبي ربيعة

نَفَقٌ ضَيِّقٌ لِلْوَحِيدْ

مايو ١٩٩١

أيُّ أغنيةٍ تترنَّمُ إن أنتَ جئتَ
تريدُ الوصالا
أيُّ شيءٍ بدمياطَ زوَّق سقف ليالِيَ
مايو
وكوَّر من غيمِه برتقالا
تدلَّى ومالا؟
إذنْ
هذه سِكَّةٌ للحنينِ المُراوغِ

يا قرويَّ المشاويرِ
سوف تُريكَ التشوق
إن صال في مقلتيك وجالا
تجيءُ
وثمةَ إمرأةٌ
ستمرُّ على نفقٍ ضيقٍ
وسيتبعها مهرجانٌ من التمرِحنة واللازوردَ
تقولُ:
اتَّبِعْنِي
فلا تَتَّبِعْها
لأن نهارين يعتركان معا في هواها
ولا تَتَّبِعْها
لأن عذارى الأناشيدِ جِئنَ بلا سببٍ واضحٍ يسترقن
خطاها

ولا تَتَّبِعْها
لأن الحمائمَ صاعدةٌ في الغناءِ إلى ركبتيها
تحومُ
وتفرش سِكَّتها بهديلٍ
يرافق خطوتها
حارسًا لها هذا الجمالا
ولا تَتَّبِعْها
لكي يتسنى لقلبك في وجده الفوضويِّ
الأنانيِّ
أن يتساءلَ:
ماذا بدمياطَ زوَّق سقف ليالِيَ مايو
وكوَّر من غيمِه برتقالا
تدلَّى
ومالا؟.

وَمَا أَنَا بَالكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

مارس ١٩٨٩

جاورتُ من ورد النوافذ كِسرةً
مقسومة للعشقِ
فانداح الغناءْ
أنا ما اشتكيتُ من الصقيع
وإنما
بَرَدُ الفؤادِ أتاه من حدقِ الظباءْ
فجمعتُ من حطبِ الحقولِ
حُزَيمةً

أشعلتُها نارا
أصدُّ بها الشتاءْ
فتصاعدت في القلبِ نيرانُ الجوى
واهٍ فؤادي
فوق جمراتِ الشواءْ
أمشي بنصفٍ من صقيع قارسٍ
وبنصفي الثاني
حريقٌ واكتواءْ
والعابرون إلى مشاوير الدنا
يمضون في عجل
وفي خيلاء
يسبهمُ مني
غرور ملامحي
ملك الخُطا أمشي

على حد السماءْ
لا يبصرون سوى بهاء ملابسي
زهوًا
ويحسدني أنا الشعراءْ.

هَلاوِسُ حِصَّةِ التَّذَكُّرَاتْ

فبراير ١٩٩١

هذه سقيفة الثلاثاءِ
وتلك حصة التذكراتِ
حينما تقومْ
نختبي من قطعة الوقت بتلك الزاوية
نجلس يا عليّ في طاولة البارِ
أنا وأنت
نصحب الوجد إلى جلستنا
والأسى حول الكراسيِّ رسومْ

نقطع بالسِّكِّين ماء غربة الليالي
ونحتسي الخمرة آنةً
وآنةً
نزوّق الخرائب التي تصعد من دقات قلبينا
إلى الحلقومْ
وعندما ننظر في المرآه
نرى صديقنا الثالث في مشيته الزرقاء
يقبل باتجاهنا
كأنه انتهى بالكاد من حصيد زرعةٍ
ومن رش حبوب القمح
والبرسيمْ
كأنه ليس له ثأرٌ
ولا حديقةٌ مرشوشةٌ بالحَسَك
العريانْ

كأنه ما زال في تجواله القديمْ
يجوب حول الغيطِ
يرتدي قميصه القطنيَّ
ويُعبّيء العيون بالهزائم المكرورةِ العنوانْ
نهب واقفيْن
باحثيْن عنه في امتداد الشارع الطويلِ والطوارِ
والممرّ
والمدخلِ
والمناضد التي يلتف حولها الندمان
فلا نراه
ننظر في المرآه
فيبين تارةً
وتارةً يندا ح وجهه في ألف وجه آخر تعكسه المرآه
تسألني:

كيف ترى أتى؟
وكيف عاد مرة أخرى لصمته
القديمْ؟
أقول
قارعا كأسي بكأسكَ:
المسا مراوغٌ
كعادة المساء في سقيفة الثلاثاءِ
وعادة الحنين في تجواله لما تحطُّ حصة التذكرات
حينما تقومْ.

حِكَايَةٌ إِضَافِيَةٌ لِلْقَوَّالْ

يونيو ١٩٩٤

تدخل الليل الكبير
وحيدةً
والدمع يمشي في العيونْ
ليتها قالت لقوّالِ الحكايا:
أرهقتني الخاتمةْ
ليتها اقترحتْ عليه نهايةً أخرى
وبدّلت الحوادثَ من بدايتها
بحيث تتيحُ للحكَّاءِ أن يبصِرَ في لهفتها

حجمَ الحنينْ
لكنها استندتْ على لوعتِها
ساءلته:
كيف تعطي قاتلا حقا بأن يبكيَ مقتولته؟
أعطته برهانا على أن الشتا
لا يمنحُ العشاقَ دفئا
كي يصيدوا سمكَ البحرِ
وكي يبكوا بما فيه الكفايةُ من تصاريف المنونْ
غير أن الحاكي
لم يكن يقصدُ من قصتِه
بُعدا
سوى ما تقتضيه حبكةُ القصةِ في أحداثها
وشخوصها المُتَقَتِّلينْ
لم يستطعْ أن يلمحَ الدمعَ الذي

كتمتْه في أعماقها
واصل قصَّتَه
كما لو كان في حفلٍ من الناسِ
الذين أتوا على
دقِّ طبولِ العازفينْ
وحكى عن بطلِ القصةِ في حيرته
بين حشيش الحبِّ في حيطانِ أبنيةِ المساءِ
وبين خائنة القلوبِ بحائطِ الدير
كما يحكي عن الفارسِ
في الحربِ
وعن جولاتِه
بحياديَّةِ أهلِ القصةِ المتمرسينْ.
.....
كانت إبنةُ الطرقاتِ

قصدًا لربيبِ الديرِ
كان الراهبُ الساكنُ في الديرِ
– على حسْبِ روايتِه –
له قلبٌ
يضمُّ اللهَ والمعشوقَ في آنٍ
وما كان به شِرْكٌ
ولكنْ كان يقدرُ أن يُنَحِّيَهُ إذا ما جاءه الليلُ
وقد أعطاه في طولِ النهارِ الصواتِ
كما يجدرُ بالمأخوذِ في حضرةِ آخذهِ المُعَلَّى
في تجاويف السنينْ
كي يعسَّ إلى هوى المعشوقِ في طرقاتِه
يتبعُ آثارَ خُطاهُ
في الممرَّاتِ
وفي حاشيةِ الأسواقِ

فوق مناضدِ الباراتِ
في تجويفِ حائطةِ المراقصِ
والجفونْ
كي يُدَحْرِجَ في يديه الصلواتِ
كما يليقُ بذاهلٍ
متساقط دمه
ويتبعه أساهُ
كان يسترسلُ في السردِ
كما يجدرُ بالقوَّالِ
حتى شاهدتْ قِطَعًا من الدمِ
في حكايتهِ على جلبابها الملهوفِ
تسري
كي تمس شغافها المفتونْ
فاستدارت في اندهاشتها

وقالت:
كيف تعطي قاتلا حقا بأن يبكيَ مقتولتَه؟
لم يجبها
واصل الحاكي حكايتَه
بأنْ وصف اختلاطَ الدمعِ
– دمعِ الراهبِ الملهوفِ –
في بُقَعِ الدماءِ
– دماءِ مقتولتِه –
في عريها المظنونْ
ساءلتْ:
كيف استحالت خاطئاتُ الليلِ
قصدًا لربيبِ الديرِ؟
قال:
ستكبرُ الأيامُ في كفيكِ

ذات ضحًى
وذات هوًى
وساعتها
ستحترقين في حَرِّ السؤالِ المُرِّ
في شجر البنفسجِ
في عزفِ الأنينْ
نفَّضتْ ألقَ الكلامِ
لتعرف المغزى
وقالت:
أيها القوَّالُ
زدني
إن جلبابي مُثَقَّبَةٌ حواشيه
لفرْحِ الحكْيِ
كان يُلَمْلِمُ الأحداثَ من قُدَّامِها

ويشُدُّ في يدِ راهبِ الديرِ
ويستجمع في عينيه
بُقْيا إبنةِ الطرقاتِ
في موعدها لما يخونْ
سألته:
أيها الحاكي
مواعيدي ستأتي مرةً أخرى إلى قرميدةِ
السقفِ
لكي تطرقَ بابي
فتمهَّلْ
كان قد أنهى حكايته
ولَمَّ بضاعةً أسيانةً في جيبه المحزون
لم يستطعْ أن يلمحَ الدمعَ الذي كتمتْه في أعماقها
سار إلى شوقِ حكايتِه

كان بطيئا
مثل من يحملُ في كفيه آلافَ الحكايا
وقديمًا
مثلما يجدرُ بالقوَّالِ
لم يتبقّ من خللِ الشبابيكِ التي
في قصةِ الراهبِ والمعشوقِ
إلا قِطَع الدمِ في جلبابها
تسري
تمس شغافها المفتونْ.
.....
ليتها قالت لقوّالِ الحكايا:
أرهقتني الخاتمةْ.

فِي انْتِظَارِ النَّهْرْ

أبريل ١٩٨٨

أنا الذي رأيتُ النهرَ
كان ثَمَّ عطشٌ
ولم يصدقوني
أخبرتهم بأن النهرَ كان مازًّا في جوارِ شجرِ الحوافّْ
وأنه حين رآني ارتجفتْ قطراتُه فَرَحًا
وأبطأ الخطْوَ
كأنه يلقي السلامَ على حنيني
وأنني ألقيتُ وردتين جافتين

في طريقه
ولم يصدقوني
وأنني خلَّعتُ قمصاني
وواريتُ عن الناس الذين يعبرونِ سوءتي
وعن العيونِ
هممتُ أن أقذفَ جسميَ النحيلَ في جوى أمواجِه
لكنني تذكَّرْتُ العجائزَ الذين
لم يذوقوا قطراتِ الماءِ من قرونِ
ولم يصدقوني
قلتُ لهم:
قلتُ له:
مُرَّ بنا يا نهرُ
مِسَّ جسمنا الصديانَ
رشرشْ دفقتين فوق سقفِ دورنا

وزُرْ مواقيتَ الزروعِ
والجواميسَ
وجباناتِ موتانا
وغمضة الجفونِ
ولم يصدقوني
مدَّ واحدٌ منهم عيونَه إلى نهايةِ المدى
وقال :
ليس هذا دربه
تثاءبتْ إمرأةٌ
ودسَّتْ نهدَها العريانَ في جلبابها وتمتمتْ:
باقٍ على موعده عشرون ظلمة وظلمة
وألف كلمةٍ ما قالها الشاعر في تجواله المفتونِ
وأعلن السيِّدُ في تطوافِه اليوميِّ
أن النهرَ قادِمٌ لا ريب فيه

عندما تقتتلُ الطيورُ في نهارِ شمسةٍ محروقةٍ
وعندما تمرقُ قُدَّامَ الديارِ ذئبتانِ خلف نعجتين
بيضاوين
في عينيهما احمرارٌ داكِنٌ
وحفنةٌ من الأسى
ولوعةِ الأنينِ
وعندما تشتعلُ النيرانُ من تلقاءِ نفسها
في رجفةِ البوادي
كي تُحرِّقَ القوافلَ التي ترحل في الليلِ الحزينِ
ولم يصدقوني
وجلسوا
في انتظار النهر.

اَلزَّوْجَةُ الْخَائِنَةْ

يوليو ١٩٩٠

وحين ذهبنا إلى البحر
لم ألكُ أعرف أن لها رجلا
وصغيريْن
كان لها مشيةٌ
وكأنْ تتصعَّدُ فوق الدرَجْ
كصغار العشيقِين لما يروحون للوقت في زينةٍ تتبرّجْ
وكان لها ناهدان كرمانتين
تكوّرتا منذ بضع دقائق

يأتلقانِ إذا ما مشتْ

وكأنهما يبغيان التفرُّجْ

وكانت تغني

كتلميذةٍ

تتعلم نطق كلام الغرام

وصلنا إلى البحرِ

حط الظلامُ

اختفى الناسُ

والشجراتُ

وبالكاد كنت أراها

وكانت تراني

وكانت تحذرني أنها بعدُ لم تتزوجْ

ولم أك أعرف أن لها رجلا

وصغيرَيْن

جارثيا لوركا

لماذا ترى تكذب الغانيات على حافة البحر

لما يبلُّ رذاذُ المياهِ الوجوهَ

ويغوي الْمُهَجْ؟.

اَلْمُشَاهَدَةْ

يوليو ١٩٨٧

لخطوي شجرْ
ودمي أضرحة
نظرتُ
فإذ بي أرى الناس قبلي تمرّ
أنا هو يا أيها الناسُ
كانوا خِفافا
وكانت ملامحهم متعباتٍ
كأنّ الضحى

مستريبٌ بطلعته في خطاهم
نقرتُ على كتف واحدهم:
أوَ تعرفه؟
قال:
ليس له شَبَهٌ
وله كوّة
تستضيف كثيرا من البرق كي يتزيّا بمشهده
ويدور على العرش
مفتتنا بصباحاته
وله أربعون من الخلق حول الحواشيّ
ينتشرون
ويبتهلون الكلام الذي اقترحَهْ
ولكنه ضالع في تفرده
أوَ تعرف كم شجرة

زرع الوالهون حواليه
كي تمدحه؟ .

.....

مرت البارحَة
في الطريق إليه طيورٌ محوّمةٌ
جارحة
واصطفتني
ولم يكُ لي عادة للرحيلِ
ولم تطلع الأجنحة
غير أنيَ كنت انتظرت
طويلا
وها هو وقتي
بكامل هيأته
واقتراب الحفيف الذي فرّحَه

إنتهزتُ الهواء الأخيرَ
وقطّعتُ من خشب الحزن ما ينبغي لعجوز
يخوّفه مهرجان العلوّ
وترصده الأسلحة
وصعدتُ
وكان معي قطعةٌ من ضياءٍ
وبعض حنينٍ
دققتُ على سدرة الواصلين
وعاينت بين الغمام
وبين القطا
مطرحَه
كان مشهده في عُلاه
خفيفا
وكانت تصاويره تتماوج

ما بين صحوٍ
وما بين محوٍ
وكان معي قطعة من ضياء
لكي ألمحَه
ولم تقدر الكوّة المستحمة في البرق
أن تفضحَه.

.....

أيها السادة الوالهون
لقد غيّبَتْني الظلاماتُ في رحلتيَّ
وها أنا في آخر العمر أمشي
ظميئا
بلا شجرٍ
وبلا مطر
وبلا غيمة أتشوّف في وجدها وقع خطوي

ألا تبصرون ألا أيها السادة الوالهون الظميءَ
ألا تملأون
وقد حمّصته الشموسُ
وقد نشّفته الرؤى
قدحه؟.

قَبْضُ رِيحْ

أغسطس ١٩٨٩

صدَّقتُه ليلُكَ
لمّا جاءني بتمرةٍ
وبلِّ ريقْ
وكسوتُ جلدي بسوادِه العالي
وأطفأتُ الحريقْ
وقلتُ:
هذه الخُطا خُطاه
وهذه الطريق

أنا الذي عبَّدْتُها
من طلعةِ الشمسِ
إلى خفقةِ طيرِ الليلِ
في عودته للشجرِ المبلولْ
ما الذي يا سيد الليلِ
أقولْ؟
عندما أبصرُ ما قضَّيتُ طيلةَ النهارِ في بنائه على
الشاطيءِ
رملا
ناعما
هدته موجةٌ عاتيةٌ
من بعد ما زوّقته
وقررتُ القفولْ
وتركتُه رهينا لحنين البحرِ

كي تعتادَه سقيفتي
وباحتي
وبابتي
وكي أعَبِّيءَ الجيوبَ بالهوى العاري وأملأ الجدرانَ
بالحنانْ
ما الذي يا سيد الليلِ أقولْ؟
والتمرةُ التي تذوبُ في فمي خربانةٌ
وقطرةُ البَلِّ التي ترطِّبُ الشفاه في
الهجيرِ فاسدة
صدَّقتُه ليلُكَ
بعدما بعتُ نهاري كله
وابتعتُ شمسةً
محروقةً
وقايضتُ بفرحةِ الصباحْ

حفنةً من الأسى
وقطعةً من الظلام
يا سيدَ الليلِ
وزرّاعَ الجراحْ.

اَلْبَعِيدُونْ

مارس ١٩٨٧

رشوا هواءهمُ ومروا
وانتظرنا سنة إثر سنة
كبر النعناع حتى طال قامتنا
وحفَّتنا الورودُ
ونثرنا العطر للخلانِ
زوّجنا بنات الحقل للعمال
والزراع
والصّادين

فرَّقنا مواجدنا على حُصُرِ الليالي
والزرابيّ الحزينة
كي يفوحَ النرجسُ المعقودُ في السقف
إذا جاء الشهودُ
وقطعنا بالسكاكين وبالأرجل
أطراف الطريق الدائرية
ودققنا بالأكف على زجاجات الحنين
ولم يعودوا.

أُغْنِيَةُ الْبَحَّارْ

أكتوبر ١٩٨٩

حبيبتي بعد غدٍ
تبلغ عامها الواحد والعشرينْ
تقول لي:
يا شاعري
خذني إلى نهارك الوضيءِ
كي تبتلَّ في ضيائه العيونْ
عَبِّيءْ جيوبي بكلامٍ عن فساتيني
الطوالِ والقصارِ

رُشَّ في عينيّ شعرًا رائقا
كي تكبر المدينةُ التي تضيق في كفيْ
وقُصَّ لي حكايةً عن لونِ أصباغي
وحومةِ الطيورِ حول ناهديَّ
ورُسُوّ السفنِ المهاجرة
قُدَّامَ دارتي
وقل لقمرِ الدنيا انتظرْ
لبعد غد
كي أحتفي بسنتي الجديدة
كما يليقُ بامرأة
يقصد دارها البحّارةُ الجنوبيون
في تطوافهم بحانات البلادِ
والرجالُ الباحثون عن هُنَيْهَتَينِ
لارتشافِ القهوةِ المُرَّةِ

والأطفالُ حينما يجرون خلف ورقِ الطفولة
وحفنةُ الصبايا
والطيورُ
وروائحُ البحر القديمِ
ويقصُّ المنشدُ الصغيرُ قصةً مكذوبةً
عن لونِ عينيها
ورملِ ناهديها
واعتراكِ السمكِ السابحِ في فضاءِ
حزنها العالي
كي تكبر المدينةُ التي تضيقُ
كلما كبُرَتْ سنةْ.

.....

بعد غدٍ
حبيبتي تبلغ عامها الواحد والعشرين

لذا
خرجتُ هذا اليوم
ووقفتُ عند بابِ الله
قلتُ له:
يا خالقَ القلوبِ والهوى
يا فالقَ النوى
أين الأغاني؟
ثَمَّ عشيقٌ يستجيرُ بالقمرْ
وبالمطرْ
وبالحنين المستجيرِ بالعصافير التي تسكنُ أوراقَ
الشجرْ
وخيبة العشاق في الحكايا
وعطش الفؤادِ في جفافِ البادية
وضيعة النياقِ في رمالِ ألفِ ليلة وليلة

يدقُّ بابكَ الوسيع
يا باذرَ الحُبِّ وزراعَ الأماني
أين إيقاع الأغاني؟
أين خفقةُ الإيقاع في الأغاني؟
أين ماء خفقة الإيقاع في الأغاني؟
أين الأغاني؟.

دَرَجُ الْوَقتْ

نوفمبر ١٩٨٨

بعد خمسِ سنين
ستدخلُ قبوَ الثلاثين
تعرفُ أن ليس فيه وميضْ
ستدخلُ معتركا
مثلما كنتَ في الوحدةِ العسكريةِ
لم تكُ ثمةَ حربٌ
وكنتَ تشدّ الحزامَ الثقيلَ
وتحتضنُ البندقيةَ

تصعدُ في دَرَجِ الوقتِ حين تحط الظلاماتُ
تذهبُ لليلِ وحدَكَ
من غيرِ أغنيةٍ أو قريضْ
ودخانُ السجائرِ يفتحُ للروحِ بوابةً للثلاثين
تمنحُ مفتاحها لرجالِ الأساطيرِ
والعاشقات الصغيراتِ في خطوهنّ الخفيفِ
وفي شجرِ الآسِ
يتبعُ ميقاتهنّ
وتورقُ أزهاره مع رجّ النهودِ
ولم تكُ ثمةَ حربٌ
وها أنت وحدك معتركا
تترقبُ خمسَ سنين
لتدخلَ قبوَ الثلاثين
من غير نافذةٍ

تتصيّدُ من شيشها مهرجانَ الغبارِ
ومن غير سقفٍ
لقرميده يتسلقُ وجدُكَ
وحدَكَ
من غير أغنيةٍ في الظلامِ العريضْ.

قَبْرٌ يُضِيءُ عَتْمَةَ الْجَبَلْ

ديسمبر ١٩٩٤

ذكران وأنثيانِ يعبرون هذه الطريق
في نهاية المسا معا
ويصعدون الجبل العالي الذي
على الحواف
يسندون جرحهم بجرحهم
ويشبكون في الأصابع الأصابعا
وكومة من العيون خلفهم
ترقبهم

وحفنةٌ من اللحى تكنس رمل البيد
تقتفي خطوهمُ المتعب
والمجروحْ
حتى إذا ما وصلوا للكهف
دخلوه خفيةً
– تابع معي يا أيها القاريء ماالذي سيحدث –
الرجال
عندما سيصلونَ
سوف يبنون جدارة من الحجارة الصماء
في المدخل
كي لا يخرج الثنائيان للسفوحْ
ويقفلون مرة أخرى إلى الديار
يحتسون القهوة المرة
والخمرة

والشاي
وفي الليل
ينامون إلى زوجاتهم
وهناك فوق الجبل العالي الذي على الحواف
سوف ترقد الحمامات على حجارة الكهف
وسوف يرتقي إليه العنكبوت
وهو ينسج العش
ويستريحْ
وفي الطريق
من أول السفح وحتى الجبل العالي
الذي على الحواف
ستنبت الأشجار
شجْرتين شجْرتين
شجْرتان ذكران

وشجْرتان أنثيان
وكل شجْرة أنثى
تمد ورقا
ينسل في اتجاه ورق
ينسل من فروع شجْرة ذكر
تشتبك الأوراق حتى تستوي سقيفة
معقوفة
ترفرف الطيورُ فيها وتصيحْ
أولها طريق ضيق
بالكاد يكفي مرأة ورجلا مشتبكين
آخرها كهفٌ على جداره الحمامات الوديعات
ودارةٌ خفيفةٌ كثيفةٌ
تسكنها العناكب الهشة
وعندما تحترق الشمسة في الضحى

كل نهار
سيجلس العشاق في ظلال الشجر المعقوف
لا يدرون أن كومة من العيون خلفهم ترقبهم
وحفنة من اللحى
تكنس رمل البيد
تقتفي خطوهمُ المتعب
والمجروحْ.

هَكَذَا . . هَكَذَا

نوفمبر ١٩٩٤

في مساءِ الخميسِ الأخيرِ الذي
في يناير
كانت محاولةُ البحثِ عن مدخلٍ
للقصيدةِ
زرقاءَ
كان التسكُّعُ في سكّةٍ في زوايا الذواكرِ أزرقَ
كانت ملاحقةُ الذكرياتِ التي في
الطفولةِ

زرقاءَ
كانت حروفُ القصيدةِ
زرقاءَ
لونُ الرجالِ الذين يجوبون أقبيةَ المدنِ الهامشيةِ
حالُ النساءِ اللواتي تعرَّيْنَ
في فاعلِ المتدارِكِ
طوبُ بيوتِ الصحابةِ
حين دققتُ على بابهم آخر الليل
– كي لا يمرُّ المساء عليَّ وحيدا –
شبابيكُ محبوبتي
– كنتُ دومًا أطوّحُ لما أمرُّ بها
وردةً –
والشواطيءُ
والشجرُ

المتضفِّرُ
والعرباتُ
وقارورةُ الخمرِ
والعاشقاتُ الصغيراتُ
والبحرُ
كيف تُرَى تتزيَّا الحوادثُ
في جنباتِ القصيدةِ بالأزرقِ
الرخوِ؟
كيف نطالعُ أحبابنا
فنفاجَأ أنهمُ ذهبوا
وبمحضِ خطاهم
إلى الأزرقِ المتدرّجِ؟
كيف تُرى يترجرجُ نهدانِ
لامرأةٍ

وهي تخطو إلى عنبِ الأربعين
يحوطهما مهرجانٌ من الأزرقِ
المتفتّحِ؟
يا أيها الأزرقُ الساجِنُ الحرُّ
ذو الألق المتموجِ
سيَّجتني
في تفاعيلِ هذا النشيدِ
لماذا إذن
دائما
في الخميسِ الأخيرِ الذي في يناير
تبدو القصيدةُ
زرقاءَ؟.

إِنَّ الْهَوَى أُمَوِيّْ

أبريل ١٩٩٢

لا بد للبردية الفرعاء بنت يزيد
إبن معاويةْ
أن ترتدي شجر العشيقات الدمشقياتِ وهي تجر
أذيال المودةِ
حين تخرج من كتاب الأصفهانيّ الذي لم ينتبه
لفجاءة التنهيدة الحيرى
التي صعدت
لتسري في سماء الله

عابرة بحارا سبعة
تنساب في خلل الشبابيك التي تسهر طول الليل
في ورق الشجيرات التي يسكنها العشاق
في سَفر القوافلِ
وهي ترحل بالصبايا
والهوى المكسور
في صمت المسا
صعدت
لتسكن سقف بيت في أعالي مصرَ
يسكنه أخو ألقٍ
وذو أرقٍ
فيصعد فوق سقف البيت
مأخوذا برنة عودها
وفضاء آهتها

يُجَمّع قبضة من شوقها
ويرشه في ماء نهر النيل
يفرد راحتيه كطائر
ويطير
وهو يجرب الطيران في فرح العشيق البكر
حتى يلمس الماء الخفيف
يزيحه بيديه
يضرب موجه في دَقة الإيقاعِ
ملتذّا بملمس ماء نهر النيل
وهو يدوخ في دوّامة العطر الذي
فاح به بَرَدى
فيشدو في حنين الماء:
(إن الهوى أمويّ).

الْحَفلْ

أغسطس ١٩٩١

في آخر النهارْ
نكون يا رفيق قد وصلنا بحرَ سوهاج
وعاينا المزارْ
تكون العربات مرقتْ
والشجراتُ مرقتْ
والفتياتُ أعطين ظهورهن للمصابيح
ولوّحن لراكبي مراكب الصيدِ
التحياتِ التي تليق بالوحيدات

اللواتي
ليس في جيوبهن ذكرياتٌ
أو دموعٌ
أو حنينٌ مستعارْ
ونحن قاصدان الحفلَ كي ندوخَ في مدار رحلةِ الأقمارْ
وننشد الأشعارْ.

.....

في البهوِ
زغردت مصابيح المكانِ
كان السيّدون فرحين بالنشيدِ
وتسربِ القَطرِ إلى الأنهارْ
والسيّداتُ يلتقطن ما يسقطه السقفُ من البالون
كي يرقصن في بهاء اللونِ
وانفراط االلؤلؤِ المنثورِ كالأمطارْ

وثمة الموسيقا
ألمهرجان كان كاملا
ووحده أبو الطيب في عرائه العريض
ينقّح القصيدة التي سربها الواشون
في جرابهم
وأشعلوا في خضرة التفاعيل
وفي عشبِ المكان النارْ
وبدّلوا قافية المديحِ
كي تصير حلقة من الحديد
تلتف على رجل الأمير سيف الدولة
- كأسك يا رفيقْ
- معذرةً
عما قليلٍ
سوف ينتهي الحفلُ الكبيرُ

ونعود مرة أخرى
لبحر سوهاجَ
لكي تنبتَ بين هذي التربة السمراءِ
ضحكة الأزهارْ
وكي تمرق حولنا العرباتُ
والشجراتُ
والفتياتُ
في فضاء ذلك الفجرِ الطليقْ
وكي يموتَ في عرائه أبو الطيبِ
فاتحا عينيه
كي تتابعا مشهده العالي
وتحرسا
مديحه المسروقْ.

اَلشّيُوعِيُّونَ الْقُدَامَى

يناير ١٩٩٤

هذه سقيفة الثلاثاء
وليس ثم أحدٌ
يضيء في نهاية الطريق شجرٌ مزوقٌ
وتبرقُ المصابيحُ الخئونْ
وتضرب البسيطةَ العناقيدُ المدلاةُ
من السطحِ
المراهقاتُ
يبتسمن في قلاداتٍ

تدور في رقاب فتيةٍ
يلوّحون بالنار العبوسْ
عما قليلٍ
سوف تمرق القرى بقمحها
ودورها
وموتاها أمام ناظريك
ويخرج الطلابُ
والعمالُ
والمراهقونْ
وهم يرددون في الفضا نشيدهم
ويرفعون الخبزة المحروقة الحوافّ
وتنتشي النسوة في النوافذ المعلقة
وليس ثم أحد سواك
ستثقب السقيفة المعقوفة الأطرافْ

وهي تظلل الماشين
في انحنائها المائل
ثقبا لا يرى
لكنه يتيح للقرى ليلا بلا دخان
وللنساء نظرة بليلة
ويمنح الثورة وقتا كافيا
لكي تكون
- كأسك يا رفيقْ
- لقد مضوا
وجرروا الثلاثاءات كلها في إثرهم
- كأسك
- ليس ثم شجر مزوقٌ في هذه الطريقْ
تُرى لماذا لم نعد نرى النسوةَ تحت الشجر المبلولِ
تكشف الشمسُ صدورهنّ

في لباس الصيفِ
يشبكن المواعيد
بأزرار القميصِ
يشترين بهجة عابرة
من ساكني القرى
ويشحذن الحنين؟
- كأسك
- لم يعد يحوطنا الحرسْ
وكادت هذه الليلة أن تنفدَ
والمارُّون مروا كلهم
وهذه الخمرة
لا تعيد نشوة الهتاف
- كأسك
- لم يعد يتبعنا العسسْ.

خَاطِفُ الْبَهْجَةْ

يناير ١٩٩٣

سكت الليلُ
وانصرف الناسُ
والنايُ أفرغ موّالَه
والكمنجاتُ قالت أنينَ المساءِ
كما ينبغي للحيارى وللمتعبين
الذين يجوبون أقبيةَ الذكرياتِ ينادمهم وهجٌ خافتٌ
وسَرَى النادلُ المتمهل
يحصي زبائنه

يتحسَّسُ آثارَ ليلتِهِ
ويقاومُ غَفلةَ عينيهِ
والراقصةْ
سرقتْ نغْمتين من العازفين
انزوت في زوايا ذواكرها
أغلقتْ مقلتيها
وقامت تجرّبُ رقصتها
فتساقطت السنواتُ العجافُ على مهرجانِ الخلاخيل
ظلتْ تدقُّ
تدقُّ
تذكَّرتِ القمحَ
والفولَ
والباحةَ المستديرةَ
والقاتلَ المتمرِّسَ

ظلتْ تدقُّ
إلى أن تكاثرَ في رقصِها القمحُ
والفولُ
ظلتْ تدقُّ
إلى أن رأتْ نفسها في فضا الباحةِ المستديرةِ
ذات نهارٍ بعيدٍ
إلى أن عوى في الظلامِ قطارُ المدائنِ ينهبُ روحًا
مشتَّتةً
وإلى أن تجمَّعَ في نغمِ الدقِّ قاتلُها المتمرّسُ
مرتديًا نفسَ أحلامِهِ
وملامحِهِ
وفجاءاتِه
جاء من خللِ الوقتِ
والذكرياتِ

إلى أن رأتْهُ بكاملِ هيأتِهِ
وبلمعةِ عينيهِ
في ليلةٍ مثل هذي
وفي رقصةٍ مثل هذي
يمرُّ على طرقاتِ الحنينِ
وحيدًا
بدونِ مصادفةٍ
وبلا موعدٍ
وتصاحبه في خُطاهُ الفراشاتُ أنّى يعرّجُ
يخطفها من قطارِ المدائنِ
يمنحها وردتين معطَّرتينِ بخمرِ اللقا
لم تكن تستطيعُ ترى شفرةَ الموتِ
بين أصابعِهِ
كان ذا مِرَّةٍ

فتطاولَ
ذا قلقٍ
فاحتمتْ في أصابعهِ العشرِ
سار بها لبحارٍ مهاجرةٍ
ومدائن خربانةٍ
– وهي بين أصابعه العشرِ –
كانت تدقُّ برقصتها
وهي تشربُ خمرتها من شذا وردتين
ولا تبصر الشفرةَ المستحمَّةَ في دمها
وتدقُّ
ولا تستطيعُ ترى روحها وهي تنسلُّ من جسمها
وتغيمُ الرؤى
في محاجرِ مقلتها
وهو ينسلُّ في خطوة المائلين

بطيئا
كما ينبغي للمحاربِ حين يعودُ من الحربِ منتصرًا
وجميلا
كما ينبغي لعشيقٍ قليلِ التجاربِ يمشي الهوينى
تناديه:
قفْ يا قليلَ الكلامِ
تناديه:
خذني
وبعِّدْ مواقيتَ حزني
وطيِّبْ جروحي
ورتِّقْ مواعيدَ روحي
تراه يذوبُ مع الشجراتِ البعيداتِ خلف البيوتِ
تدقُّ
ترى قطراتِ دماها مُنَقَّطَةً

في ارتباكةِ خطوتِه
وترى روحها مُتَسِرِّبَةً في شقوقِ عذاباتِها
وترى جسمها قِطَعًا
تتبعثر في جنبات الطريق
تدقُّ
وظلت تدق
إلى أن تعثرَ في رقصِها نادلٌ
يتحسّسُ آثارَ ليلته
ويقاومُ غفلةَ عينيه
في مرقصٍ
في أقاصي المدينةْ.

فِتْنَةُ الذِّكْرَى

يناير ١٩٩٢

شبَّهْتِني بالزجاجِ
ولم أشبِّهْكِ
واجهتِني
في ليلةِ البرَدِ:
- أنتَ الذي دقَّ في قلقٍ على بابي
كان الغبارُ اكتسى زِيّي
وعضَّني الوجدُ
قايضني على جسدي

قلتُ:
الغبارُ علا
والقلبُ عارٍ وصادٍ
والنوى شَبَكٌ
متصيِّدٌ
وقلوعي في الحروب هوَتْ
وتناثرت قِطَعًا على البددِ
شبَّهْتِني بالزجاجِ وقلتِ لي:
يا أيها العاصي
انتهزتَ غوايةَ المطرِ
وتعلُّقَ القطراتِ بالبللورِ بين يدِي
فجريتَ في الطرقاتِ
لا تلوي على شيءٍ
وزادتك القطاةُ هوى يختالُ في

الوجدِ
وكأنْ بكيتَ لتشبه البللورَ
أو لكأنْ بكيتَ لتختلي بفراشِ خلق اللهِ
كالمجذوبِ
أو كالحائط المنذور للأطيارِ
أو لكأنْ بكيتَ لتشبه الفرحانَ حين يفوزُ بالوعدِ
واجهتُ عينيك المغمّستين في الذكرى
واجهتُ وجهك خاليا
من شُبهة الدمعِ
ساءلته عن رقعةِ العلم
وحصون مملكتي
وأفراسي
وحُرَّاسي
وبصَّاصِيّ ينتشرون في البلدِ

مرَّ الزمانُ علىَّ حتى خِلتُ أني راجلٌ في التيه
حتى خلتُ أني أعزلٌ
في رجفة الصحراء
والأعداء من حولي
وقُدَّامي
وبين يدِي
وبي وجَلٌ
يزاحم خطويَ العاري
وبي خجلٌ
يطَوِّفُ في رمالِ دمي
وفي خلدي
وبي من فضة الأيام
ضوءٌ بارقٌ في ليليَ العالي
وموسومٌ بفقدان التذكُّرِ

والحكايا
والعَدُوّ
وضيعة الجندِ
لا ثأرٌ
ولا ذكرى
أقابل فجأةً نفرا من المارّين
أحيهم تحية عابرٍ متعجلٍ بالأمرِ
أو متمهلٍ لافرقَ
أسألهم:
دمشقُ تلوحُ؟
أم أني إلى نجدِ؟
وأيُّ طريقةٍ في السير أسلكها؟
وكم باقٍ على المشوارِ ؟
لم يكُ في رنين سؤاليَ الحيرانِ

شوقٌ
لا
ولم أكُ أبتغي من ردِّهم تعليلي
يقول كبيرهم:
ما أنتَ
ماذا تبتغي في هذه البلدِ؟
أرنو لهيئته العريضةِ
لابسا سمتَ الملوكِ وضحكةَ التجارْ
وأهمسُ:
كان لي نفَرٌ من الخلصاء والأجنادِ
كنت أشكِّل الخزفَ الطريَّ بهيئة الأطيارْ
وأنفخ فيه
حتى يستوي في الأفق جوَّابا
على البددِ

ويأتيني بأنباء عن الطرقاتِ
والسلطاتِ
والتجارِ
والأشجارِ
حتى عندما يتلبَّسُ الجندُ العدَوُّ عباءةَ الأشجارِ
كي يخدع حُرَّاسي
وأهمسُ:
إنني رجلٌ بلا ذكرى
ولا ثأر
ولا ولدِ
وتشابهت في وجهيَ الطرقاتُ
صرت أسير مغتربا بلا سندِ
واختفى المجد المعبَّقُ في دهاليز المدائنِ لا طليطلةٌ تلوحُ
ولا حدود الرافدين

لا ثأرٌ
ولا أثرٌ
ووحدي
فينهض واحدٌ في الجندِ
يسحب ياقتي
ويجرُّني في ذلك الصهدِ
ويسألُ:
أين تذهبُ؟
كان لي عشرون مملكة و مملكة
وعاما بعد عام
سقطت ممالكي الكثيرةُ
كل يوم كانت الأنباءُ تأتني من الطيرِ المشتَّتِ في
الممالكِ بالقلوع الهاوية
وتأخُّرِ المددِ

حتى تبعثرَ بامتداد الأفقِ وجهي
عاريا
ظمآنَ
سيَّجني الخرابُ
وكلَّل العارُ المشيبَ
وشيَّختْ رجلاي حتى سارتا غصبا إلى لحدِي
ومضت عساكرهم
يجلجل ضحكهم في رملِ هذي البيدِ
والأصداء تحمل ضحكهم حولي
إذا حاولتُ أن أمشي
وها أنا ذا أتيتُ أدقُّ بابَكِ
لم أُشَبِّهْكِ
شبَّهْتِني بالزجاجِ
ولم أُشَبِّهْكِ.

إِيمَاءَاتُ مُحَمَّدْ

فبراير ١٩٩١

خطوة في البوادي عارفةٌ مزهرة
بعدها
ستُنقر في جسد الأرض كالريح
تصبح أنت المُعَنّى برائحة الجسد المتوارث
مثل الهواء الذي يتكرر في اليوم
أكثر من مرة
يحملُ الوعدَ للجالسين
إلى جُدُرِ الدور

يختطفون الرؤى العابرة
أوَ تعرف عائشةٌ
أن من تصطفيه القفارُ
كثيرٌ على نبضة القلب
كالبحر
كيف تضم انفلاتاته
وأصابعها عشرة؟.

اِعْتِرَافْ

سبتمبر ١٩٩٠

أعلنُ أن ما مضى
ليس من القضا
لكنه محضُ زمانٍ ناشِفٍ
جاء إلينا
بعضُه يضربُ بعضًا
يلتفُّ حوله الناسُ
لكي يستوقفوه
كي يعيشوا سنةً واحدةً

ويُمسكون في جلبابِه
لكنه ينسل مثل الأفعوان
يضرب الأرضَا
يفتشُ البيوتَ باحثا عن صيدةٍ
وحيدةٍ
وفرحةٍ
صغيرةٍ
وضحكةٍ يخطفها في آخر الليلِ صبيٌّ
ينشدُ الركضا
وبعض حبوٍ يرتقي الدرَجْ
ويستدير
هاربًا بصيدِه
وتاركا مقاعدَ القلبِ
يحوطُها الحَسَكْ

وسِكَّةً خربانةً
ومطرحًا
يسكنه البومُ
وشجرا مُعَبَّقًا
بخيبة الظلالْ
وبانخطافة المهجْ
أمشي
فإذ بي فجأةً يحطُّني المشيبُ
يعتري خطوي الكلالْ
يستبيني الشجرُ المُصطَادُ
كي أقف
أعلنُ أنني اكتشفتُ في نهاية الطريقِ
أنني بلا غوايةٍ
ولا هدفْ

وأن قِطَعَ العمرِ تساقطت
غصبا
وأن بهجةَ القلبِ تسرَّبتْ من خللِ النوافذِ التي
على الحوافْ
وأنني في آخر المطافْ
توقفتْ رجلاي في الأعرافْ
وأنني بعد حروبٍ جمَّةٍ
بلا غنيمةٍ
وبعد رحلةِ البحار قد بلغتُ الشطَّ
لكنْ
ليس في يدِي من لؤلؤِ القاعِ
سوى الأصداف.

.....

أعلنُ أن ما مضى

ليس من القضا
وأنني أسبُّ هذه الفوضى.

غَزوْ

مارس ١٩٨٩

شجرٌ يتزوَّق بين دمي
يزهر عسلا في ريقِ فمي
وأشرتُ إليه
جريتُ عليه
شغلتُ هواه
فلم ينَمِ
وبما أملكه من قلقٍ
وكلامٍ حلوٍ كالنغمِ

سيَّجتُ جميعَ مداخله
ورفعتُ حواليه
علمي
فسما
من بين صواحبه
واستشعر لذَّاتِ الألمِ.

خَاتِمَةُ الْقَولْ

هذا طريق البحر لا يُفضى لغير البحر
والمجهول قد يخفى لعارف
جازف
فإن سُدّت جميع طرائق الدُّنيا أمامك
فاقتحمها لا تقف
كي لا تموت وأنت واقف .

محمد إبراهيم أبوسنة

مؤلفات السمّاح عبد الله

أولا : دواوين شعرية

٠١ - شتاءة للعاشق الوحيد

٠٢ - سقيفة الفقراء

٠٣ - حصيرة البارحة

٠٤ - خديجة بنت الضحى الوسيع

٠٥ - مكابدات سيد المتعبين

٠٦ - الواحدون

٠٧ - أحوال الحاكي

٠٨ - مديح العالية

٠٩ - خلاخيل العابرة

١٠ - الرجل بالغليون فى مشهده الأخير

١١ - ثلاثاءات عابر سبيل
١٢ – متى يأتي الجيش العربي ؟!
١٣ – قبو الثلاثين
١٤ – تصاوير ليلة الظمأ
١٥ – طرف من أخبار الحاكي
١٦ - نثر الدر

ثانيا : المسرح الشعري
أغنية إلى النهار

ثالثا : المختارات الشعرية
عن الأشياء نفسها

رابعا: مختارات من الشعر العربي
١ - مختارات من شعر محمود سامي البارودي

٢ - مختارات من شعر أمل دنقل
٣ – مراثي الإمام محمد عبده

خامسا: إعداد وتقديم
١ – ديوان ولي الدين يكن
٢ – ديوان إسماعيل صبري

سادسا : شعر الأطفال
١ - شجرة الأسبوع
٢ – خير الأمور الوسط
٣ – الأغاني الصغيرة
٤ - أغنية الشجرة
٥ – بستان الشهور
٦ – قط في المرآة

سابعا: فصول من السيرة الذاتية
الرحل ذو الجلباب الأزرق الباهت

ثامنا: كتب مجمعة:
عطلة الشجرات، مجلد يضم ثمانية دواوين، هي: نثر الدر، طرف من أخبار الحاكي، تصاوير ليلة الظمأ، قبو الثلاثين، متى يأتي الجيش العربي؟، ثلاثاءات عابر سبيل، الرجل بالغليون في مشهده الأخير، خلاخيل العابرة.

تاسعا : كتب عن الشاعر
١ - وجوه بين صوابعي مقاربة شعرية لديوان الواحدون أسرار الجراح دار التلاقي للكتاب ٢٠١٠
٢ – الزمن ودلالاته في شعر السماح عبد الله دراسة نقدية د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٣ – قراءة الثورة بأثر رجعي دراسة في قصائد خديجة للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

٤ – تجليات الزمن في ديوان "مديح العالية" للشاعر السمّاح عبد الله د. جمال الجزيري دار كتابات جديدة للنشر ٢٠١٥

عاشرا: بيانات:

مدير بيت الشعر المصري، مركز إبداع الست وسيلة.

هاتف شخصي: ٠١٠٠٧٥٥٨١١٧.

بريد إلكتروني: alsammah63@yahoo.com

المحتوى

إِشَارَةْ ٠٠٦

إهداءة ٠٠٧

اَلْعَتَبَةْ ٠٠٩

بدء القول ٠١١

نَفَقٌ ضَيِّقٌ لِلْوَحِيدْ ٠١٣

وَمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ ٠١٧

هَلاوِسُ حِصَّةِ التَّذَكُّرَاتْ ٠٢١

حِكَايَةٌ إِضَافِيَةٌ لِلْقَوَّالْ ٠٢٥

فِي انْتِظَارِ النَّهرْ ٣٥.
اَلزَّوْجَةُ الْخَائِنَةْ ٣٩.
اَلْمُشَاهَدَةْ ٤٣.
قَبْضُ رِيحْ ٤٩.
اَلْبَعِيدُونْ ٥٣.
أُغْنِيَةُ الْبَحَّارْ ٥٥.
دَرَجُ الْوَقتْ ٦١.
قَبْرٌ يُضِيءُ عَتْمَةَ الْجَبَلْ ٦٥.
هَكَذَا . . هَكَذَا ٧١.
إِنَّ الْهَوَى أُمَوِيٌّ ٧٥.
الْحَفلْ ٧٩.
اَلشّيُوعِيُّونَ الْقُدَامَى ٨٣.
خَاطِفُ الْبَهْجَةْ ٨٧.
فِتْنَةُ الذِّكْرَى ٩٥.

إِيمَاءَاتُ مُحَمَّدْ ١٠٥
اِعْتِرَافْ ١٠٧
غَزوْ ١١٣

خاتمة القول ١١٥
مؤلفات السمّاح عبد الله ١١٧